مقدمة (خطبة) كتاب سيبويه

بدر بن محمّد بن عبّاد الجابري

الأستاذ بكلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية

ورئيس قسم اللغويات

ملخص البحث:

يقدِّم هذا البحث غير مسبوق نصّ مقدمة (خطبة) كتاب سيبويه؛ التي لم تذكرها المصادر، ولم يتهدّ لها الباحثون والدارسون من قدامى ومحدَثين.

ويعرض البحث ما قيل عن مقدمة كتاب سيبويه، ثم يثبت نصّ مقدمة (خطبة) كتاب سيبويه اعتمادا على نسختين خطيتين نفيستين؛ موثقا غاية التوثيق.

ويورد البحث الجواب عن قول بعض الباحثين: إن الأبواب الأُول من الكتاب؛ هي مقدمة كتاب سيبويه.

ويختتم البحث ببيان أسباب عدم الوقوف على مقدمة (خطبة) كتاب سيبويه، والعذر للباحثين والدارسين في عدم وقوفهم عليها.

تقدمة:

الحمد لله ذي المنن، والصلاة والسلام على نبينا محمد خاتم النبيين، وعلى آله أجمعين، وأصحابه وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد؛

فهذا البحث الأول ضمن سلسلة أبحاث تحمل عنوان: سيبويهيّات (الله أسأل أن ييسر نشرها، وأن ينفع بها)، وعنوانه: مقدمة (خطبة) كتاب سيبويه.

والبحث يكشف غير مسبوق عن مقدمة (خطبة) كتاب سيبويه؛ التي لم تذكرها المصادر، ولم يتهدّ لها الباحثون من قدامى ومحدَثين، وسيلتمس البحث العذر لهم.

ويسلط البحث الضوء على مقدمة (خطبة) كتاب سيبويه؛ توثيقا وتحليلا، وسيتولى كشف الغموض حول ما يتعلق بها.

وهذا البحث وغيره من أبحاث السلسة اللاحقة (بمشيئة الله)؛ لم يواتني صفوا رهوا، بل هو حصاد بحث مضن، وتدقيق شديد، ونتيجة قراءة فاحصة لكثير مما قيل وكُتب عن سيبويه وكتابه، متأملا في زوايا كتاب سيبويه – وكم في الزوايا من خبايا –، ناظرا في بعض مخطوطات كتاب سيبويه، منصرفا في بحوثي – جهدي وطاقتي – عما تداولته الأقلام، وتعاورته أيدي الباحثين، محاولا – في حدود علمي المتواضع – تقديم جديد يشي بفكر سيبويه، ويكشف غير مسبوق عن شيء منه؛ بعد التأكد من عدم الكتابة فيه، عن طريق البحث، وسؤال أساطين العلماء المعنيين بسيبويه، واستشارة بعض الباحثين الذين أثق في أمانتهم وإنصافهم، والإنصاف عزيز اليوم في الناس؛ إلا من رحم الله.

وهذا البحث وغيره من أبحاث السلسة اللاحقة (بمشيئة الله)؛ يسير على طريقة سيبويه في تأليف كتابه في كراريس؛ فهذا البحث وريقات معدودة.

وهذا البحث وغيره من أبحاث السلسة اللاحقة (بمشيئة الله)؛ محاولة جادة

لامتلاك الحقيقة العلمية، وهو في حاجة ماسة لتقديم الملحوظة النافعة، والرأي السديد؛ ممن يطالعه.

وختاما: أشكر الله على ما منّ علي به، ثم أشكر شيخ العربية الأستاذ الدكتور: تركي بن سهو العتيبي (وفقه الله)؛ الذي لمست فيه عن كثب حرصه على تبني البحوث الرائقة، وأشكره شكراً خاصاً على كريم فعله بتلبية طلبي العاجل بتزويدي ببعض ما كتبه بعض المعاصرين مما ليس تحت يدي عن سيبويه؛ فجزاه الله خيرا، وأجزل له المثوبة.

والله أسأل أن يحظى هذا البحث بالقبول، وأن يغفر لي، ولوالديّ، ولمن قرأه، ولمن حثني على تدوينه، والمضي فيه؛ رغم كثرة الصوارف والأعباء، وانشغال الذهن.

مقدمة (خطبة) كتاب سيبويه بين النفي القاطع ويقيني التام بوجودها:

رسخ في ذهن جمهرة الباحثين وتأصّل وتجذّر أن كتاب سيبويه ليس له مقدمة (خطبة)، وأن كتاب سيبويه يبدأ بقوله: «هذا باب علم ما الكَلِم من العربية».

ومما رسخ هذا الظن ثلاثة أمور:

١/ أن نسخ الكتاب المطبوعة المحققة؛ لا يوجد فيها مقدمة (خطبة) لكتاب سيبويه(١).

٢/ أن شروح الكتاب المطبوعة المتداولة؛ لا يوجد فيها مقدمة (خطبة) لكتاب سيبويه(٢).

٣/ النص من عدد من الباحثين المبرزين؛ على عدم وجود مقدمة (خطبة) لكتاب سيبويه.

ومن النصوص التي تقرر نفي وجود مقدمة (خطبة) لكتاب سيبويه نفيا قاطعا:

١- يقول حاجي خليفة: «كتاب سيبويه في النحو: لأبي بشر؛ عمرو بن عثمان الملقب: بسيبويه - لأنه كان يحب شم التفاح ويكثر ذلك(٣)؛ فلقبوه: بسيبويه - النحوي البصري الحارثي، المتوفى سنة ١٨٠، ثمانين ومائة على الصحيح، في مجلد، أوله: هذا باب علم ما الكَلِم من العربية، ثم هذا باب كذا إلى آخر الكتاب. ليس فيه ترتيب، ولا خطبة، ولا خاتمة»(٤).

(١) ينظر: الكتاب تح: هرتويغ ١/ ١، وطبعة بولاق ١/ ٢، وتح: أ. هارون ١/ ١٢.

(٢) ينظر: شرح السيرافي ١/ ٤٥، وشرح الرماني (تح: د. شيبة) ١/ ١٠٣، والتعليقة ١/ ٣، وشرح عيون كتاب سيبويه ص ٣، والنكت ١/ ٩٩، وشرح الصفار ١/ ٢٠٤.

(٣) هذا قول، وينظر في بقية الأقوال: بغية الوعاة ٢/ ٢٢٩، وينظر في درسها: سيبويه إمام النحاة ص ٧٦، وسيبويه النحوي ص ١٨.

(٤) كشف الظنون ٢/ ١٤٢٦ و١٤٢٧.

وتعليقا على آخر هذا النص أقول: أما الترتيب؛ فقد أثبته كل من د. المتولي الدميري[١]، ثم أ. د. البكّاء[٢]، وأما الخطبة (المقدمة) فسيأتي الكلام عنها في هذا البحث، وأما الخاتمة فسيأتي كلام عنها (بمشيئة الله).

٢- يقول د. أحمد أحمد بدوي مستدلا لما استنبطه من عدم رضى سيبويه عن كتابه: إن «الكتاب خال من مقدمة يضعها المؤلف في رأس كتابه؛ ليقدم بها الكتاب للجمهور، ويذكر فيها غرضه وخطته»[٣].

٣- د. حسن عون؛ الذي جعل من أدلة عدم رضا سيبويه عن كتابه: «خلو الكتاب من مقدمة تمهد له، وتشرح أهدافه، وخلوه من خاتمة توجز آراءه وتعرض نتائجه التي وصل إليها»[٤].

وقضية عدم رضا سيبويه عن كتابه من العجائب، ولا ينبغي الاشتغال بها، ويكفي لبيان تهافتها: النظر في كتاب سيبويه النظر السليم، وفهمه الفهم الصحيح.

٤- يقول أ. علي النجدي ناصف: «إن الكتاب ليس له مقدمة، ولا خاتمة»[٥].

٥- يقول الشيخ: محمد عضيمة: «كتاب سيبويه يمثل صورة رائعة من صور تواضع العلماء.

سيبويه الذي أثار إعجاب الناس بكتابه لم يبدأه بخطبة يكشف فيها عن جهوده، ويتحدث عن حسن بلائه، وإنما بدأه بالبسملة، ثم دخل إلى الموضوع، وما

(١) ينظر: دراسته الماتعة لتحقيقه شرح الرماني ص ٤١٦، وما بعدها.

(٢) ينظر: منهج كتاب سيبويه في التقويم النحوي ص ١٩، وما بعدها.

(٣) سيبويه حياته وكتابه: د. أحمد بدوي ص ٢٨.

(٤) نقلا عن الرماني النحوي ص ١١٦. وينظر عدّه أول الكتاب المبحث الأول (مبحث المفرد): تطور الدرس النحوي ص ٤٠ - ٤٢.

(٥) سيبويه إمام النحاة ص ١٢٩. وكذا قال في " تاريخ النحو " ص ١٨.

أكثر تواضع النحويين»(١).

٦- يقول أ. محمد علي النجّار: «ويبتدئ الكتاب بتقسيم الكلمة(٢) إلى اسم وفعل وحرف، وينتهي بمباحث مخارج الحروف والإدغام، وليس للكتاب خطبة ولا خاتمة، وقد علل هذا بأن سيبويه تخرم قبل أن يضع له الخطبة والخاتمة، كما لم يضع له اسما خاصا»(٣).

٧- يقول د. شوقي ضيف: «ولعل أول ما يلاحظ على الكتاب أن سيبويه لم يضع له اسما يفرده به، وربما أعجلته وفاته عن تسميته كما أعجلته عن وضع مقدمة بين يديه، وخاتمة ينتهي بها»(٤).

وتعليقا على أول جملة في هذا النص أقول: عدم تسمية سيبويه كتابه سلّمه مترجمو سيبويه، وجمهرة الباحثين قديما وحديثا، وفاتهم أن سيبويه أشار إلى ما يفهم منه اسم كتابه حيث يقول:

١- «وقد بُيّن المفعولُ الذى هو بمنزلة الفاعل فى أول الكتاب»(٥).

٢- «مما ستجده في الكتاب إن شاء الله عز وجل»(٦).

٣- «وقد أوضحته في أول الكتاب بأكثر من هذا»(٧).

وقد تهدّى إلى الوقوف على الإشارة إلى الاسم في نص الكتاب كل من:

أ- د. محمد علي الريح هاشم؛ حيث يقول: «على أني أرى أن سيبويه قد ألمع إلى العنوان الذي عرف به كتابه؛ إذ قد أشار إليه مرة يقول: "مما ستجده في

(١) فهارس كتاب سيبويه ودراسة له ص ١١.

(٢) نص الكتاب (تح: أ. هارون) ١/ ١٢ «الكَلِم». وقد تكرّر هذا في نصوص بعض المحدَثين.

(٣) كتاب سيبويه: النجار ص ٢٢ و٢٣.

(٤) المدارس النحوية (د. شوقي ضيف) ص ٦٠.

(٥) الكتاب (تح: أ. هارون) ١/ ٨٣.

(٦) الكتاب (تح: أ. هارون) ٢/ ٢٣٧.

(٧) الكتاب (تح: أ. هارون) ٣/ ٢٢١.

الكتاب إن شاء الله" »[1].

ب- د. فوزي مسعود؛ حيث يقول: «وهي تسمية مأخوذة من قول سيبويه نفسه في باب عنوانه: باب ما ينصرف ...، وقال [كذا] في هذا الباب ما نصه: "... وقد أوضحته في أول الكتاب بأكثر من هذا ... "، وهكذا يكون سيبويه نفسه هو الواضع الأول والوحيد لاسم كتابه، وليس العلماء اللاحقون له كما زعم جميع الباحثين والدارسين»[2].

وأقول: سبق أن سيبويه أورد لفظ «الكتاب» بهذا المعنى ثلاث مرات؛ لا مرة واحدة، وهو وإن أراد المكتوب؛ إلا أن هذه الإشارات الثلاث هي التي جعلت العلماء يسمونه: الكتاب. والله أعلم.

وأما قضية أن الوفاة تخرّمت سيبويه قبل أن يسمِّي كتابه أو يضع مقدمة وخاتمة له - ولعل أول من فتح بابها د. أحمد أحمد بدوي -؛ فهي دعوى لا تثبت عند التحقيق، وليس لها حظ من النظر السليم، ولذا لم يعرِّج عليها العلماء المتقدمون، ويكفي لدفعها مطالعة كتاب سيبويه بتأنٍّ وتمعُّن، مع ما تشي به بعض النصوص ببطلانها، وسيأتي في قادم أبحاث هذه السلسلة بيانه وإيضاحه (بمشيئة الله).

وأما مقدمة كتاب سيبويه فهي محل درس هذا البحث، وأما الخاتمة فسيأتي كلام عنها (بمشيئة الله).

٨- يقول د. أحمد مختار عمر: «ومن يراجع موضوعات الجزء الأول من "الكتاب" يجدها خاصة بالنحو؛ فقد تناول فيه الكلمة، والنكرة والمعرفة ...»[3]، وهو صريح بعدم وجود مقدمة (خطبة) لكتاب سيبويه.

٩- يقول د. هاشم الطعان: «وقد أحس الأولون أن بداية الكتاب مفاجئة، مما

(١) حول كتاب سيبويه: د. محمد هاشم ص ٢٢.

(٢) سيبويه جامع النحو العربي ص ٦٠.

(٣) البحث اللغوي عند العرب ص ١٢٣.

يشعر أن سيبويه مات قبل أن يستوي كتابه وفق مناهج التأليف العربية»[١]، وهو كالنص في عدم وجود مقدمة (خطبة) لكتاب سيبويه.

وغير هؤلاء ممن يرى كتاب سيبويه بلا مقدمة (خطبة) كثير[٢].

وفي بعض النصوص السالفة وغيرها مما يقوله من تبنّى بعض ما فيها تصريحا أو دون تصريح، من التجني على سيبويه وظلمه؛ بمطالبته بما هو موجود في عصرنا، أو ما هو موجود في التأليف اللاحق عليه؛ شيء يحار المرء كيف سُطِّرَ ؟!

يقول د. محمد المحرصاوي بعد تقرير بعض المآخذ على كتاب سيبويه: «إنه من الظلم له ولصاحبه أن ننقده بمعايير وقواعد وضوابط التأليف المنهجي، وأسس النقد عندنا الآن»[٣].

ومن العلماء المتقدمين والباحثين المحدَثين من رأى أن الموجود من بداية أقسام (أنواع) الكَلِم حتى ما يحتمل الشعر؛ هو مقدمة كتاب سيبويه:

١- يقول ابن جني: «حدود الكتاب سبعة وثلاثون، بعد الخطبة؛ وآخرها آخر باب ضرورة الشاعر»[٤]، ومعنى هذا أن ابن جني يسمي هذه الأبواب: الخطبة؛ أي: مقدمة الكتاب[٥].

٢- يقول د. مازن المبارك: «يبدأ الكتاب بمقدمة يتناول سيبويه فيها الحديث عن أقسام الكلم وحركات الإعراب والبناء أو مجاري أواخر الكلم ...، ويختم

(١) حول كتاب سيبويه (مجلة مجمع اللغة الأردني) ص ٢٢١.

(٢) منهم: د. عبده الراجحي (دروس في المذاهب النحوية ص ١٥ و١٦)، ود. صاحب أبو جناح (من أعلام البصرة سيبويه ص ٧١ و٧٤)، ود. خالد جمعة (شواهد الشعر ص ٤٦)، ود. مزيد نعيم (سيبويه البصري ص ٢٩)، ود. محمد الدنّاع (المختار ص ١٤)، ود. محمد المحرصاوي (من أثر الكتاب ص ٢٦)، ود. محمد عبد المطّلب البكّاء (المدخل إلى كتاب سيبويه وشروحه ص ٢١).

(٣) من أثر الكتاب ص ٢٧.

(٤) الخاطريات ص ٢٣.

(٥) ينظر: رسالة الكتاب (مجلة جذور) ص ٣٠٧.

ذلك بالحديث عما يحتمله الشعر من الضرورات، وتمتد هذه المقدمة حتى الصفحة الثالثة عشرة من الكتاب؛ حيث يبدأ الكلام على باب الفاعل، وهو أول أبواب النحو في الكتاب »(١).

ولعل د. مازن المبارك أول من قال هذه القولة من المحدَثين؛ لأن أطروحته للدكتوراه التي كان هذا الكلام فيها كانت عام ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠م، وهو مسبوق بابن جني كما سبق.

٣- يقول د. إبراهيم السامرائي: « يبدأ سيبويه كتابه بمقدمة يسيرة يعرض فيها لأقسام الكلام، وحركات الإعراب والبناء أو مجاري أواخر الكلم ...، ويختم هذا بالكلام على ما يحتمله الشعر من الضرورات، ثم ينتقل بعد هذا العرض الواسع إلى الكلام على الفاعل في الباب الأول من الكتاب »(٢). وأقول: هذا كلام د. مازن المبارك بحروفه تقريبا !.

٤- تقول د. خديجة الحديثي: « ويكاد الجزء الأول من الكتاب يكون للنحو ...، وقد بدأه بموضوعات تعتبر مقدمة للكتاب هي: "باب علم ما الكلم من العربية" ...، ثم "باب ما يحتمل الشعر" ...، وبعد أن ينتهي من هذه المقدمة الضرورية للكتاب يبدأ بموضوعات النحو الأساسية، وأولها: "باب الفاعل" ... »(٣).

٥- تابع د. محمد كاظم البكّاء الدكتور: مازن المبارك حيث يقول: « والذي اتضح لي أن سيبويه قد ألفه على هيأة [كذا] كراريس، وأنه بدأ بمجموعة من الأبواب تعد مقدمة علمية للكتاب »(٤)، وكذا قال في منهج كتاب سيبويه(٥).

(١) الرماني النحوي ص ١١٥.

(٢) أبو سعيد السيرافي وكتاب سيبويه (مجلة كلية الآداب) ص ٢٩.

(٣) كتاب سيبويه وشروحه ص ٧٩. وينظر: سيبويه حياته وكتابه لها ص ٨٨، و٩٠، والمدارس النحوية لها ص ٨٢ - ٨٥.

(٤) مقدمة كتاب سيبويه (مجلة المورد) ص ١٨٤؛ وأحال على الرماني النحوي.

(٥) ينظر: منهج كتاب سيبويه في التقويم النحوي ص ٢٨٢.

ثم قال في تحقيقه كتاب سيبويه: «ألف سيبويه الكتاب في كراريس؛ فبدأ بمجموعة من الأبواب تعد مقدمة علمية له، أولها: "هذا باب علم ما الكلم من العربية"، وآخرها: "هذا باب ما يحتمل الشعر"، وتستمر أبواب النحو بقوله: "هذا باب الفاعل ..."»(١).

وقد كتب على غلاف الجزء الأول (المجلد الأول): «القسم الأول: أبواب النحو، الجزء الأول: مقدمة الكتاب، وإسناد الفعل».

وقد أسمى د. المتولي الدميري هذه الأبواب: التمهيد(٢).

وأسماها د. عبد الرحمن السيد: ما يشبه مقدمة النحو أو التمهيد له، حيث يقول: «بدأ الجزء الأول بما يشبه أن يكون مقدمة للنحو أو تمهيدا له»(٣).

وبعد هذا كله أقول: إنني منذ أن شُغلت بالكتاب وأنا أجد في نفسي شيئا من هذا، إذ إن الصنعة التأليفية في الكتاب، والفكر الذي أودعه سيبويه كتابه؛ يأبى أن يدع سيبويه كتابه غفلا، دون أن يضع له مقدمة (خطبة).

وأنا على يقين تام وقناعة راسخة أن مقدمة (خطبة) كتاب سيبويه؛ ستكون مناسبة لعصره، وبدايات التأليف، وستكون موجزة غاية الإيجاز؛ جريا على عادة سيبويه في اختصار اللفظ، وعدم الإطالة والإطناب.

والأمانة العلمية تقتضي القول بأن د. حنّا جميل حدّاد؛ قد سبقني إلى أنه لا بد أن تكون هناك مقدمة للكتاب؛ وهو من جملة حقائق ساقها للتدليل على أن النسخ التي بين أيدينا اليوم من كتاب سيبويه ليست مطابقة لنسخة الكتاب الأصلية، وأن كتاب سيبويه كما كتبه بنفسه وكما خلّفه للعالم من بعده؛ ما زال مجهولا عندنا بعيدا عن متداول أيدينا(٤).

(١) الكتاب (تح: أ. د. البكّاء) ١/ ٢١؛ وأحال على الرماني النحوي.

(٢) شرح الرماني (تح: د. الدميري) ص ٤٢٠.

(٣) مدرسة البصرة ص ٥٣٩.

(٤) ينظر: حول كتاب سيبويه (مجلة مجمع اللغة الأردني) ص ٧٩ و٨٠.

وفي رأيه هذا من الشطط ما فيه، يقول د. حنّا: «ليس في مقدمة الكتاب ما يشير إلى أنه بداية له، وليس في نهايته ما يشير إلى انتهائه؛ فهو مبتور البداية والنهاية، وليس مقنعا أن يقال: إن هذا الكتاب جاء مغايرا للمألوف من مصنفات ذلك العصر، مخالفا لمنهج التأليف الذي تعود الناس عليه إذ ذاك؛ إلا أن يقوم على ذلك دليل، وتنهض بيِّنة»(١).

وتعليقا على قضية مغايرة المألوف من مصنفات ذلك العصر ومخالفة منهج التأليف المعهود آنذاك المزعومة؛ أقول: لا أعلم كتابا جامعا مثل كتاب سيبويه أُلِّف في تأريخ العلوم الإسلامية قبل كتاب سيبويه، ولست أدري كيف يصح قياس كتاب سيبويه بكتب بعض اللغويين اللاحقين عليه؛ الذين أفادوا من طريقة ما صنف في عصرهم من مصنفات؟

ولا يخفى أن د. حنّا يريد مقدمة لكتاب سيبويه تماثل المقدمات المعهودة؛ وهو خلاف طبيعة تأريخ التأليف في جميع العلوم، ويخالف منهاج سيبويه الذي سار عليه في تأليف كتابه.

ولست أجد شبيها لكتاب سيبويه (ت ١٨٠ هـ) إلا كتاب: "الرسالة" للإمام الشافعي (ت ٢٠٤ هـ)، وقد بدأ الشافعي كتاب: "الرسالة" بحمد بالغ لله الحميد، وصلاة سابغة على الشفيع المشفّع (صلوات الله وسلامه عليه)، ثم بدأ أول " الرسالة " قائلا: باب كيف البيان ؟(٢).

ولا يغيب عن البال أن أول أبواب كتاب سيبويه: هذا باب علم ما الكَلِم من العربية؟.

وقد وجدت الشافعي يستعمل «الكتاب»(٣) مريدا به كتابه: "الرسالة"، وقد

(١) حول كتاب سيبويه (مجلة مجمع اللغة الأردني) ص ٧٩ و٨٠.

(٢) الرسالة ص ٢١.

(٣) الرسالة ص ١٤٦، و١٨٣.

سبق الكلام عن استعمال سيبويه «الكتاب» مريدا به كتابه.

وأقول: ظل يقيني السابق بوجود مقدمة (خطبة) لكتاب سيبويه؛ يحتاج إلى دليل مادي موثوق، فعكفت على قراءة مقدمة طبعة باريس لكتاب سيبويه بتحقيق: هرتويغ، وكذا قراءة بعض مخطوطات كتاب سيبويه الموثوقة؛ حتى وفقني الله للوقوف على نص قاطع الدلالة، صريح وواضح؛ يثبت وجود مقدمة (خطبة) لكتاب سيبويه.

مقدمة (خطبة) كتاب سيبويه - النص المفقود:

وقفت في الكتاب تحقيق: هرتويغ درنبُرغ؛ في وصفه النسخة L (نسخة الأسكوريال) على قوله: «كذا في أصل صح

أَعِـــذْني ربِّ من حَـــصَـــرٍ وَعيٍّ

ومن نَـسَـمى أُعـالِـجُـهـا عِلاجَـا

ومن حـاجـات نـفـسي فـاعْـصِـمَّني

فـإنّ لمضـمـرات الـنـفس حـاجَـا»[1].

وصورته:

Le texte commence seulement au folio 4 v°. Il est précédé des deux vers suivants, qui sont introduits par la formule: كذا في اصل صح «C'est ainsi que cela s'est trouvé exactement dans un exemplaire original[2]»:

أَعِـذْنِ ربِّ مـن حَـصَـرٍ وَعِيٍّ ومن نَسَمى أُعالِجُها عِلاجَا

ومن حاجات نفسي فاعْصِمَّني فإنّ لمضمرات النفس حاجَا

ثم حصلت على مصورة نسخة الأسكوريال؛ فوجدت تعثُّرا في قراءة هرتويغ، وصواب النص بحسب قراءتي للنسخة ما يأتي: «كذا في أصل مـ صح»[2]، ولم

(١) الكتاب (تح: هرتويغ) ج١ ص xxxiii.

(٢) الكتاب نسخة الأسكوريال ٤ ب.

يضبط أول عيٍّ، وضبطه بالكسر: عِيٍّ، و" نَسَمى " خطأ صوابه: نَفْس، و"فاعْصِمَّني " تطبيع لم يُتفقّد، والصواب: فاعْصِمَنِّي، وكذا الرواية في الديوان والمصادر، وسيأتي بيانه.

وصورة النص في نسخة الأسكوريال في نفس سطر البسملة:

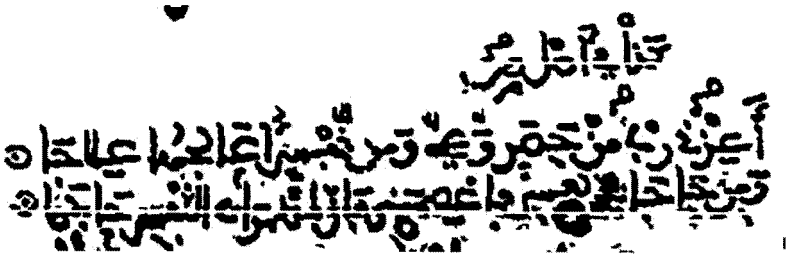

و«مـ» هنا رمز المبرّد؛ أي: نسخة المبرّد، وهو رمز مقتطع من اسمه: محمد، أو لقبه: المبرّد.

ولم يرد هذا الرمز في كثير من المخطوطات رمزا لنسخة المبرّد، وإنما رمز نسخة المبرّد فيها هو «مح»(١).

وأقول: إن الصواب هو أن «مح» هو رمز نسخة المبرّد المشهور، وليس الرمز الوحيد لأمرين:

١- أنه يرد في بعض المواضع في بعض النسخ الخطية تسميته باسمه هكذا «محمد»، وفي بعض المواضع: «المبرّد»، وفي بعضها: «أبو العباس».

٢- أن رمز المبرّد في الكتاب نسخة الأسكوريال؛ هو «مـ».

ويدل على أن المراد بالرمز "ميم" في نسخة الأسكوريال هو: محمد بن يزيد المبرّد؛ ما ورد في حاشية الكتاب نسخة الأسكوريال ٤٢ ب؛ في بيت جرير:

---

(١) كذا في بداية الكتاب نسخة نور عثمانية (٤٦٢٦) ورقة الغلاف (الظهريّة)، والنسخة ٤٦٢٧، ونسخة راغب باشا (١٣٧٦)، والنسخة A1 أ، ونهاية نسخة راغب باشا (١٣٧٥) ٣٤٢ ب. وسقط من بداية نسخة عارف حكمة الله!

إِيَّــاك أنْتَ وَعَــبْــدَ الــمَــسِــيحِ(١)

«صح مـ ويَجُوزُ وَعَبْدُ المَسِيحِ»، وصورته:

وفي الكتاب النسخة A 75 أ: «ط(٢) يجوز الرفع في "عبدَ" قاله المبرّد»، وهو بحروفه في عدد من النسخ(٣)، وتجويز النصب والرفع في هذا البيت نص عليه المبرّد(٤).

(١) صدر بيت من المتقارب، وعجزه: أنْ تَقْرَبَا قِبْلَةَ المَسْجِدِ، وهو في ملحق ديوان جرير ص ١٠٢٧، وهو في الكتاب (تح: أ. هارون) ١/ ٢٧٨ (أنشدنا يونس لجرير)، والمقتضب ٣/ ٢١٣ (دون نسبة؛ اكتفاء بنسبة سيبويه)، وينظر: تعليقات محققيهما، وينظر أيضا: المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية ٢/ ٣٦٧.

(٢) رمز ابن طلحة في نسخة الزمخشري، وهو غير معيّن، وممن شُهر به: علي بن طلحة بن كُردان، نحوي موصلي، قرأ الكتاب على الفارسي والرماني، ت ٤٢٤ هـ (ينظر: معجم الأدباء ٤/ ١٧٧٥؛ والمصادر التي بحاشيتها). وقطع بأنه المراد د. عبد المجيد الجار الله في "جهود الزجاج" ص ٤٣.

وممن شُهر به: عبد الله بن طلحة بن محمد، أبو بكر (على الأشهر) اليابري الأندلسي، ت ٥١٨ هـ (البلغة ص ١٧١ و١٧٢، وبغية الوعاة ٢/ ٤٦)، جاور بمكة، وبها توفي، وقد نقل أبو حيان (البحر المحيط ٤/ ٣٧١) أن الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) رحل له إلى مكة؛ ليقرأ عليه كتاب سيبويه، وأورد إسناده إلى كتاب سيبويه، وقد نقل المقّري (أزهار الرياض ٣/ ٧٧) عن ابن عبد الملك في الذيل والتكملة قوله: «كانت له معرفة تامة بكتاب سيبويه، وبسببه ارتحل إليه الزمخشري من خوارزم لقراءته عليه»، وليس في المطبوع من أسفار ذيل ابن عبد الملك.

وأقول: دعوى الارتحال فيها نظر، وعبارة الفيروزآبادي (البلغة ص ١٧٢): «اجتمع بالزمخشري بمكة، وقرأ عليه الزمخشري كتاب سيبويه»، ونقلها عنه السيوطي في البغية.

وتذهب الباحثة الفرنسية: د. جنفييف أمبير إلى أنه هو المراد (ينظر: goo.gl/LV0WqL).

وأقول: لعل الأقرب أن يكون المراد بالرمز ط: عبد الله بن طلحة اليابري؛ لما تقدم، ولوجود حواش في بعض النسخ المنقولة عن نسخة الزمخشري؛ فيها النص على أن ط ينقل عن نسخة الرباحي. والله أعلم.

ومن غرائب ما وقفت عليه: ورود الرمز "ط" في الخاطريات الجزء الثاني (رسالة) ص ٣٧!.

(٣) منها: نور عثمانية (٤٦٢٨) ٦٨ ب، ونسخة جوروم باشا ١/ ٩٣ أ، ونسخة راغب باشا (١٣٧٥) ٤٥ ب، ونسخة عارف حكمة الله ٥٨ أ.

(٤) المقتضب ٣/ ٢١٣.

وأقول: النص الوارد حاشية في نسخة الأسكوريال ورد في متن الكتاب نسخة باريس (٥٢٨٠) ٤١ أ – وهي من رواية الرباحي، وليست من نسخ هرتويغ –، وقد وضعه هرتويغ في الحاشية لا المتن دون تعليق[١]، وفي المقابل لم يرد النص في الكتاب نسخة الزاوية الحمزاوية (الحمزية) ٢٢ ب.

وبناء على كل ما سبق؛ أقول ـ بعد شكر الله ـ بكل يقين وثقة: إن هذين البيتين من الوافر للنمر بن تولب[٢] (رضي الله عنه)؛ هما مقدمة (خطبة) كتاب سيبويه.

الأدلة على إثبات نص مقدمة (خطبة) كتاب سيبويه:

أدلتي على إثبات نص مقدمة (خطبة) كتاب سيبويه؛ ثلاثة أنواع: الأول: دليل عقلي، والثاني: دليل نصي من نسخة للكتاب غير نسخة الأسكوريال، والثالث: دليل داخلي من النص المثبت في النسختين كلتيهما.

فأما الأول: الدليل العقلي؛ فبيانه: كتاب ككتاب سيبويه يستحيل أن لا تكون له مقدمة (خطبة)؛ بناء على ما في الكتاب من صنعة محكمة، وفكر عال[٣].

(١) الكتاب تح: هرتويغ ١/ ١١٨، الحاشية المتعلقة بالسطر ١٣؛ نقلا عن النسخة B.

(٢) البيتان في ديوانه (جمع: د. القيسي؛ ضمن شعراء إسلاميون) ص ٣٠٢ و٣٠٣ (في ثنايا ترجمته)، وهما أول وثاني أبيات القطعة ١١ ضمن ١١ بيتا ص ٣٣٨، وفي ديوانه (جمع: د. طريفي) في قافية الجيم ص ٥٠. وفيهما: «نَفْس»، وتخريج البيتين مستوفى في طبعتي الديوان.

(٣) اعترضه أحد فاحصَي البحث (جزاهما الله خيرا) بأنه «ليس دليلا عقليا ملزما»، مستشهدا بورود الموطأ للإمام مالك، ومجاز القرآن لأبي عبيدة؛ دون مقدمة.

وأقول (وبالله التوفيق): ليست القضية في الدليل كونه ملزما أو غير ملزم، بل القضية كونه دليلا عقليا مُسَلّما صحيحا، وكون الدليل الآنف كذلك أمر لا مراء فيه ولا جدال، وهو متفق عليه عند جمهرة الباحثين، ولذا استغربوا أن يكون الكتاب بلا مقدمة (خطبة).

وأما ورود موطأ الإمام مالك ومجاز أبي عبيدة دون مقدمة؛ فتشبيه وقياس في غير محله؛ لأنه قد ثبت أن لكتاب سيبويه مقدمة (خطبة). وليست المسألة في ورود كتب دون مقدمات؛ فصحيح البخاري ليس له مقدمة، وكذا مسند الإمام أحمد، وكتاب النبات والشجر للأصمعي ليست له مقدمة، وكذا البئر لابن الأعرابي؛ وهم متأخرون في الوفاة عن سيبويه.

وأما الثاني: وهو الدليل النصي من غير نسخة الأسكوريال، وهو دليل صريح بصحة النص ونسبته؛ فهو ما وقفت عليه بحمد الله في الكتاب نسخة ابن خروف من إثبات نص الكتاب هكذا: «

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وآله وسلم
أَعِذْنِي رَبِّ مِن حَصَرٍ وَعِي وَمِن نَفْسٍ أُعالِجُهَا عِلاجَا
ومِن حَاجَاتِ نَفْسِي فَاعْصِمَنِّي فإنّ لمُضمرات النَّفْسِ حَاجَا »

البيت الأول منهما في المتن، والثاني مثبت في الحاشية اليسرى، وهو بنفس الخط ولكنه بمداد مغاير، وفي الحاشية اليمنى بذات المداد كتب ابن خروف – بحسب اجتهادي في قراءة النص –: « ثبت البيت الأول في أصل أبي نصر بعد البسملة، والثاني في حاشيته »، وكتب في أعلى الصفحة بخط لا يكاد يستبين: « سقط البيتان في ش »[1]، وصورة كل ما سبق:

(١) الكتاب نسخة ابن خروف ١ ب. ش = النسخة الشرقية، يقول عنها ابن خروف في نهاية نسخته من الكتاب (١٦٤ ب): « نسخة شرقية عتيقة عليها خط أبي علي الفارسي، وكانت منقولة من كتاب أبي بكر بن السراج ». قال أحد فاحصَي البحث (جزاهما الله خيرا): « هذا أقوى أدلته الثلاثة [كذا] لكنه ليس دليلا صريحا بصحة النص ونسبته لسيبويه، وأنه كان مقصودا جعله مقدمة كتابه؛ فقوله: "سقط البيتان من [كذا] ش" وهي كما ذكر في حاشيته: "نسخة ..." دال على أن الفارسي لا يعد البيتين المذكورين من الكتاب ». وأقول (وعلى الله التكلان): سقْط البيتين من أغلب النسخ أمر عجيب غريب، وهو يدل على عدم دقة جمهرة النساخ، واختلاف وتباين النسخ المنتسخ عنها كتاب سيبويه، ووجودهما في النسختين الآنفتين دليل صريح بصحة النص ونسبته لسيبويه؛ لوجود الشاهدين الموثقين، وأما كون الفارسي لا يعد البيتين المذكورين من الكتاب؛ فليس الأمر هكذا، بل الفارسي لم يقف =

ومنه يعلم أن النسخة الشرقية قد سقط منها هذان البيتان اللذان هما مقدمة (خطبة) كتاب سيبويه، ويشارك النسخة الشرقية بعض النسخ الرباحية التي لم تقابل بنسخة أبي نصر القرطبي عن الرباحي أو تنقل عنها، وكذا النسخ المنقولة عن أبي نصر القرطبي دون التدقيق في حواشيها وطررها.

وأما الثالث: وهو الدليل الداخلي؛ فهو ينقسم قسمين:

الأول: هذا النص المثبت في أول نص سيبويه في نسخة ابن خروف – وهو من هو في الكتاب رواية ودراية –، ونسخة الأسكوريال، وهي نسخة موثقة غاية التوثيق؛ فقد جاء في مقدمتها إجازة لناسخها من أبي علي الشلوبين بخطه – وهو من هو في الكتاب فهما وإقراء –، كتب الشلوبين فيها: «بعد أن قابل كتابه هذا بكتابي الذي هو أصل أبي نصر هارون بن موسى بن جندل النحوي»، وصورته:

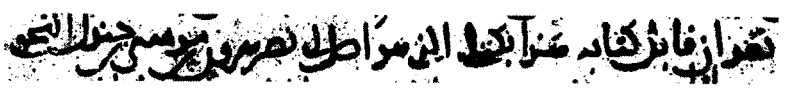

وصورة الورقة بتمامها:

= عليهما، والفارسي فاتته أشياء في كتاب سيبويه، وفاتته بعض نسخ كتاب سيبويه، ولا أدل على هذا من محاولته جمع بعض النسخ، وإثبات ما فيها من فروق. ينظر في تفصيل هذا: النسخ ذات الحواشي التي سبقت الإشارة إليها. وينظر أيضا: الكتاب نسخة ابن خروف ١٦٤ ب؛ ليُعلم أن الفارسي عندما وقف على شيء من كتاب سيبويه أثبته مع إخلال نسخته به. ومما تقدم يظهر بجلاء عدم وقوف جماهير من المعنيين بسيبويه على هذين البيتين!.

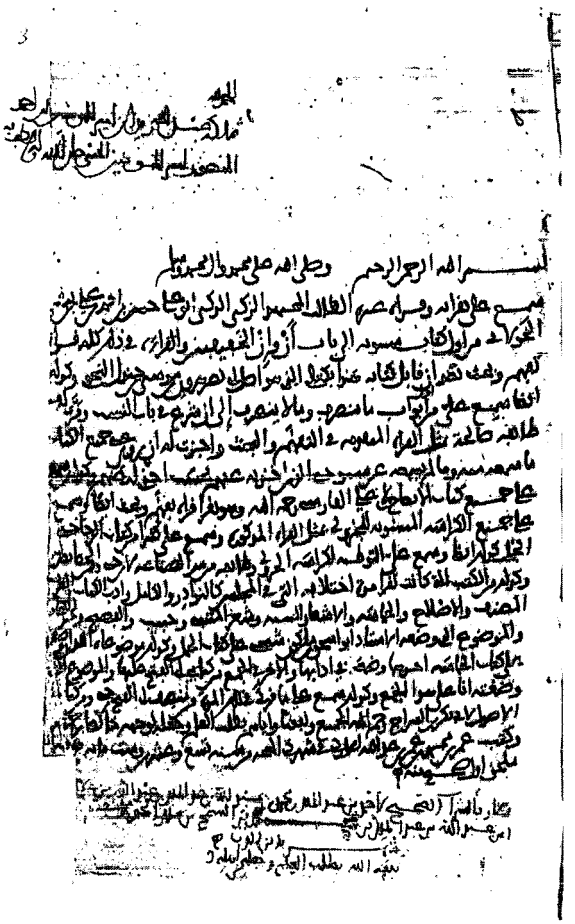

وقد جاء في نهاية هذه النسخة ٢٧١ ب[١] قول الناسخ: «قابلت كتابي هذا بأصل الأصول أصل الأندلسي الذي بخط العالم العلَم الأستاذ أبي نصر هرون بن موسى المقروّ على الإمام النحوي أبي عبد الله الرباحي، فما وجد في كتابي هذا من طرة؛ فمن الكتاب المذكور نُقلت، وبذلت فيه جهدي، وما قصرت لتكون البنيّة شبيهة بالأم، ويستدل بالفرع على الجذم ...»، وصورته:

(١) قال أ. هارون (مقدمة الكتاب ١ / ٥٠) عن هذه النسخة: «في ٧٢١ ورقة». وأقول (مستعينا بالله): لعل تطبيعا وقع هنا، والصواب أنها في ٢٧١ ورقة، وقد نص عليه هرتويغ في وصفها، ووصفه دقيق جدا.

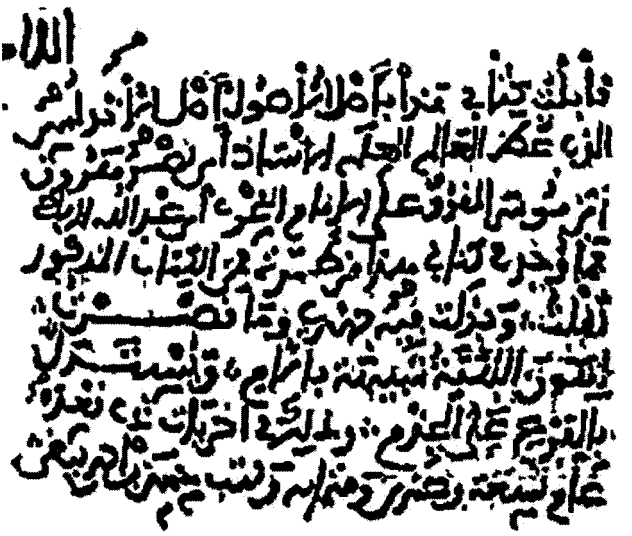

وهذان النصان بخط عسر جدا، وغير واضح المعالم في بعض كلماته؛ كما هو واضح في مصورة النصين، وهذان النصان مثبتان في وصف هرتويغ لهذه النسخة التي هي غاية في النفاسة، وله فيهما اجتهادات غالبها صائب جدا.

ووجه الاستدلال: وجود النص بحروفه في هاتين النسختين الموثقتين غاية التوثيق؛ وهو دليل صريح صحيح بثبوت البيتين بعد البسملة؛ وأنهما مقدمة (خطبة) كتاب سيبويه.

والثاني: هو ما يشي به معنى البيتين عند تحليلهما؛ من أن سيبويه عمد عمدا، وقصد قصدا؛ أن يكون هذان البيتان هما مقدمة (خطبة) كتابه، وسيظهر هذا بجلاء عند تحليل هذين البيتين.

تحليل مقدمة (خطبة) كتاب سيبويه

(بيتي النمر بن تولب – رضي الله عنه –)، وربطهما بفكر سيبويه وبيئته:

عاش سيبويه الفارسي الأصل في بيئة عربية، وكان يريد تدوين علم الخليل العربي الأصل في علم النحو، مع إردافه برأي شيوخه، ورأي نفسه إن دعت الحاجة له، وسيبويه ذو فكر عال، وهو لا يحب الإطالة والإطناب، بل يحب الاختصار والإيجاز؛ جريا على عادة العرب الأقحاح الفصحاء.

وهذان البيتان يكشفان بجلاء حالة سيبويه النفسية في بدء تأليف كتابه؛ فهو يستعيذ بالله ويلتجيء إليه من الحَصَر والعِيِّ، ومن خلجات نفسه التي يعاني معاناة شديدة في علاجها، وإذا نُظر إلى ما ذُكر في ترجمة سيبويه من حُبسة في لسانه، يكون البيت الأول عَوْذا منها.

يقول الجاحظ في مقدمة كتابه البيان: «ونعوذ بك من السَّلاطة والهذَر كما نعوذ بك من العِيِّ والحَصَر، وقديما ما تعوّذوا بالله من شرهما، وتضرّعوا الى الله في السلامة منهما.

وقد قال النمر بن تولب:

أَعِـــذْنِي رَبِّ مِن حَـــصَـــرٍ وَعِيٍّ

ومِن نَـفْسٍ أُعَـالِـجُـهَـا عِلاجَـا»(١).

وسيبويه يعلم علم اليقين أنه مقبل على أمر عظيم؛ ألا وهو تدوين نحو العربية وما يتعلق به، وهو في هذا المقام حريص على الطلب من الرب القدير العوذ من الحَصَر والعِيِّ، والسلامة من حاجات النفس ومضمراتها.

وسيبويه راوية للشعر، واستشهاده بالشعر في خارج كتابه؛ مما سارت به ركبان بعض مترجميه(٢).

(١) البيان والتبيين ١ / ٣.

(٢) ينظر مثلا: تاريخ العلماء النحويين ص ١٠٨ و١٠٩، وتعليقات محققه.

فنفْس سيبويه التواقة للتشبه بالعرب، وحافظته الشعرية التي أمدته في كتابه بهذا الكم من الشواهد، كل ذلك يدل على أن الأنسب أن يكون مقدمة (خطبة) كتاب سيبويه بعد البسملة: هذان البيتان من الشعر بعينهما لا سواهما.

وليس مثل سيبويه في اختيار الشواهد، وتخيُّر الأبيات. والله أعلى وأعلم.

الجواب عن القول بأن مقدمة سيبويه هي:

الأبواب الأول من الكتاب؛ حتى ما يحتمل الشعر:

سبق إيراد قول بعض الباحثين بأن مقدمة كتاب سيبويه هي: الأبواب الأُول من الكتاب؛ حتى " ما يحتمل الشعر "، والجواب عن هذا القول من ثلاثة أوجه:

الأول: يقول د. صاحب أبو جناح – وهو من أنصار عدم وجود المقدمة –: «وهذا الذي عده المبارك مقدمة؛ هو مجموعة مباحث يتناول سيبويه فيها الحديث عن أقسام الكلم ...، وهو في مجموعه يشمل سبعة أبواب من الكتاب؛ فهل يعقل أن تسمى كل هذه السبعة الأبواب [كذا]: مقدمة الكتاب، أليست هي تمهيدا ومدخلا للكتاب أو لموضوعاته العامة ...، وهل يكون كل هذا التمهيد مقدمة؟

لم ينكر أحد من الباحثين أن يكون سيبويه قد مهد لمباحث الكتاب التفصيلية بمدخل في المبادئ العامة للقضايا التي يدور حولها كتابه، ولكنهم أنكروا أن تكون للكتاب مقدمة كتبها سيبويه أو غيره، وفرق بين المقدمة والتمهيد كما نعلم جميعا.

وهل يمكن أن يبدأ كتاب سيبويه بقوله: هذا باب علم ما الكلم من العربية ؟، ثم نقول نحن بعد ذلك: إن سيبويه بدأ الكتاب بمقدمة؛ ولكنها ليست كما يطلب الباحثون اليوم ؟!

ألا يكون ذلك إغرابا في الدعوى لا مبرر له ؟»[1].

(١) من أعلام البصرة سيبويه ص ٧٥ و٧٦.

الثاني: هذه الأبواب ليست المقدمة؛ بل هذه الأبواب تُسمّى عند المعنيين بسيبويه: الرسالة (رسالة الكتاب) / رسالة كتاب سيبويه.

ورد في الكتاب النسخة A: «واعلم أن إسماعيل الوراق نسخ من الكتاب الرسالة وبعض الفاعل»(١)، وكذا ورد في بعض النسخ ذات الحواشي(٢).

ونص الزجاجي على تسمية الأبواب الأُول: «الرسالة»(٣).

ونص الزجاجي أيضا على أنه ألف «شرح الرسالة»(٤)، وعاد وأسماه: «شرح رسالة كتاب سيبويه»(٥).

يقول د. مازن المبارك معلقا على الموضع الأول: «يعني: شرح مقدمة الكتاب»!.

وأورد ياقوت في مؤلفات الأخفش الصغير (علي بن سليمان): «شرح رسالة كتاب سيبويه؛ رأيته في نحو خمس كراريس»(٦).

يقول د. إبراهيم السامرائي: «والمقصود بالرسالة: المقدمة التي سبق الكلام عنها»(٧)!.

ولعبد الله الجهاد بحث عنوانه: "رسالة كتاب سيبويه"؛ يذهب فيه إلى أن الرسالة هي مقدمة الكتاب، إلا أن مصطلح: " الرسالة " أولى لما يحمله من معنى القَصْديّة(٨).

(١) الكتاب النسخة A 1 أ. والنص عند هرتويغ ج١ ص vi، وأ. هارون ١ / ٤٧.

(٢) سبق إيرادها في الكلام عن الرمز «مح».

(٣) الإيضاح في علل النحو ص ١٠٢ «في أول الرسالة»، و١٠٦ «في آخر الرسالة».

(٤) الإيضاح في علل النحو ص ٤١. وينظر: نص محققه على أنه مما فات مترجميه ص ٧، ورسالة الكتاب (مجلة جذور) ص ٣٠٧، و٣٢٣.

(٥) الإيضاح في علل النحو ص ٤٥.

(٦) معجم الأدباء ٤ / ١٧٧١، ويقارن بالفهرست للنديم؛ مع تعليق محققه ١ / ٢٥٧ و٢٥٨. وفي تعليق محقق الفهرست نظر؛ سببه تداخل نقول ياقوت. والله أعلم.

(٧) أبو سعيد السيرافي وكتاب سيبويه (مجلة كلية الآداب) ص ٣٢.

(٨) رسالة الكتاب (مجلة جذور) ص ٣٠٦ – ٣٢٤.

وأقول: الصواب ما تقدم، وهو مسبوق بالمنصف عاشور؛ الذي وقع في كلامه أيضا تسميتها المقدمة(١)، والصواب ما تقدم، ولا يخفى تأثر الباحثَين بتفسير محقق إيضاح الزجاجي.

الثالث: وجود نصٍّ مقدمة (خطبة) كتاب سيبويه في نسختين خطيتين نفيستين، وهما: نسخة ابن خروف ونسخة الأسكوريال، موثقا غاية التوثيق، ولا اجتهاد مع النصِّ(٢).

---

(١) ملاحظات حول رسالة سيبويه في الكتاب مشروع قراءة في النظريات النحوية العربية: المنصف عاشور (مجلة حوليات الجامعة التونسية) ص ١٦٩. وينظر: ما أورده في الحاشية ٣ ص ١٧٠ عن بحث أ. ج. تروبو؛ المنشور في عدد خاص من مجلة سان جوزيف، ١٩٧٤م؛ بعنوان: " رسالة الكتاب لسيبويه ".

(٢) قال أحد فاحصَي البحث (جزاهما الله خيرا): «في سند هذا الذكر إنقطاع في مكانين؛ فلم يذكر أحد من السابقين أنهما ثبتا في نسخة كتبها سيبويه نفسه، أو أشار المبرد إلى أنه نقلهما من نسخة أحد شيخيه الجرمي والمازني، وهما راويا الكتاب عن الأخفش؛ طريقه الوحيد إلى سيبويه، أو يكاد يكون كذلك».

وأقول (مستعينا بالله): لا انقطاع، لأن إسناد المبرد إسناد متصل إلى سيبويه، ولكن المشكل في الأمر هو انتساخ النسخ، فنسخة المبرد – وهي النسخة التي تلتقي عندها أسانيد أغلب النسخ –؛ لم تنتسخ في هذا الموضع بشكل صحيح، ويدل عليه ورود البيتين في هاتين النسختين الموثقتين غاية التوثيق، ومن حفظ حجة على من لم يحفظ.

وأما نسخة المبرد فدونها خرط القتاد، فمن باب أولى نسخة سيبويه، وأما قضية أنه لم يذكرهما أحد؛ فكثير من فروق نسخ كتاب سيبويه لا يكاد يوجد إلا في آحاد النسخ، ومن تعامل مع نسخ الكتاب المتعددة (رواية ودراية) يعلم هذا علم اليقين.

وقال: «وأترك الانقطاع الآخر للباحث يجيل فيه فكره في أناة».

وأقول (مستعينا بالله): أما الانقطاع الثاني؛ فالذي أظن أن الفاحص يقصده هو: الانقطاع بين المبرد وابن خروف والشلوبين.

وأقول (وعلى الله التكلان): هذا كسابقه، إذ لا انقطاع؛ لأن ابن خروف والشلوبين إسنادهما لكتاب سيبويه عن طريق المبرد إسناد متصل مسلسل بالأئمة الحفاظ؛ كما يُعلم من ترجمتهما، وشيوخهما.

وهاتان النسختان ترجعان إلى أصل واحد؛ هو أصل أبي نصر القرطبي الراوي عن الرباحي، وعليه فلا انقطاع في أول إسناد هاتين النسختين، ولا في منتهى إسنادهما، ولا وسطه؛ فإسناد النسختين متصل لا انقطاع فيه، وهو مسلسل بالأئمة الحفاظ. =

أسباب عدم الوقوف على مقدمة (خطبة) كتاب سيبويه:

هناك (من وجهة نظري) ثلاثة أسباب؛ لعدم الوقوف على مقدمة (خطبة) كتاب سيبويه، وهي باختصار وإيجاز:

= ومما أورده الفاحص (جزاه الله خيرا) أن بيتي النمر بن تولب – رضي الله عنه – «لا يمثلان خطبة؛ فهما أشبه بجملة دعائية بعد البسملة، مثل: بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم يسر وأعن».

وأقول (وعلى الله الاعتماد): مفهوم المقدمة (الخطبة) يختلف من زمان إلى زمان، وسيبويه أراد أن يكون بيتا النمر بن تولب (رضي الله عنه) هما مقدمة (خطبة) كتابه بحسب ما تقدم من أدلة صريحة صحيحة، وليس لنا بعد ثبوت النص إلا التسليم، ومحاولة بذل الجهد في التفسير، وهو ما اجتهد فيه البحث قدر الوسع والطاقة.

وقال الفاحص (جزاه الله خيرا) عن عدم ورود البيتين في شروح الكتاب: «ألا يدل هذا على أن هؤلاء العلماء لا يرون البيتين الثابتين في نسخة الأسكوريال ونسخة ابن خروف مما أثبته سيبويه، ولو كانوا يرون ذلك لشرحوهما، أو تكلموا عنهما».

وأقول (وعلى الله التكلان): ليس الأمر هكذا، بل هم لم يقفوا عليهما في النسخ التي شرحوها، أو ما وقفوا عليه من نسخ، وبعضهم كأبي نصر في " شرح عيون كتاب سيبويه " لم يشرح إلا نتفا ومواضع محدودة من كلام سيبويه، ولم يعرض للبيتين مع أنهما من روايته، لأن مقصده شرح عيون كلام سيبويه.

وأقول (وعلى الله الاعتماد): كنت أتمنى أن أقف على الجزء الأول من شرح ابن خروف لكتاب سيبويه " تنقيح الألباب " الذي لم يُعثر عليه حتى الآن؛ لأنظر ماذا سطّر هنا ؟.

وكنت أتمنى أن أقف على شرح ابن الضائع لكتاب سيبويه؛ الذي جمع فيه بين شرحي السيرافي وابن خروف، والموجود قطعة منه، وقد طلبته من شيخنا أ. د. عيّاد بن عيد الثبيتي؛ فوعدني بالمحاولة في تصويره في رحلة ينتويها إلى المغرب، ثم إنه أفادني (جزاه الله خيرا) بعد عودته من المغرب (مطلع عام ١٤٣٨ هـ) بأن القطعة الموجودة لا يمكن الانتفاع بها. ولله الأمر.

وكنت أتمنى أن أقف على بعض شروح الكتاب التي توردها المصادر كشرح الشلوبين لكتاب سيبويه الذي لم يُعثر عليه، أو بقية ما عُثر عليه من بعض الشروح كالجزء الأول من شرح صالح بن محمد (الهسكوري ظنًّا) الذي لم يُعثر عليه؛ علني أجد فيها تصريحا أو تلميحا عن هذين البيتين اللذين ثبتا في نسختين موثقتين غاية التوثيق؛ فكانا مقدمة (خطبة) كتاب سيبويه؛ على ما سبق بيانه وإيضاحه، والاستدلال له.

وبناء على ثبوت البيتين وكونهما مقدمة (خطبة) كتاب سيبويه؛ تقوى وتتأكد المشابهة بين كتاب سيبويه والرسالة للإمام الشافعي.

١ / أن نسخة المبرّد من كتاب سيبويه التي فيها هذه المقدمة (الخطبة) الموجزة لم يتم انتساخها في هذا الموضع؛ على وجه صحيح من قِبَل كثير من النساخ.

وأن نسخة الرباحي لم تنتسخ بدقة في النسخ المشهورة في هذا الموضع، وكذا رواية أبي نصر القرطبي عنه إلا ما كان من نسخة ابن خروف ونسخة الأسكوريال؛ بحسب ما وقفت عليه. والله أعلم.

والله أحمد أن سلم النص في نسخة الأسكوريال، وأن أنعم بصحة قراءته، وأشكره سبحانه على إنعامه بالتهدِّي لقراءة نسخة ابن خروف التي حفظت النص، وهي أقدم من نسخة الأسكوريال.

٢ / قراءة هرتويغ الخاطئة لصدر الحاشية (الطرة) المعلقة على نسخة الأسكوريال، ضللته وضللت كل من رجع إلى تحقيقه (مباشرة أو بواسطة) من ناشري الكتاب ومحققيه: طبعة بولاق، وتحقيق أ. هارون، وتحقيق أ. د. البكّاء؛ في هذا الموضع.

فعلى الرغم من وقوف هرتويغ على هذه النسخة التي لم يقف عليها غيره من محققي الكتاب؛ إلا أن قراءته الخاطئة حرمت الباحثين والدارسين من الوقوف على مقدمة (خطبة) كتاب سيبويه، وتوثيقها بنسبتها لنسخة المبرّد.

وليس هرتويغ منفردا بهذا، بل يشاركه محققو كتاب سيبويه إلى عصرنا؛ في عدم الوقوف على نسخ هرتويغ، وخاصة النسختين: A و L (الأسكوريال).

وكذا ما فات هرتويغ من نسخ كتاب سيبويه كنسخة ابن خروف على ما فيها من خروم وتقديم وتأخير، ونسخة الزاوية الحمزاوية (الحمزية) – يرى شيخنا أ. د. عيّاد بن عيد الثبيتي أنها من أقدم النسخ الكاملة[١]–، والنسخ التي أوردها د. المنجِّد[٢]؛ كل ذلك جعل تحقيق كتاب سيبويه غير صحيح علميا حتى الآن

(١) في اتصال بالمحمول (الجوال) كان بيني وبينه (حفظه الله).

(٢) مخطوطات كتاب سيبويه ص ٥٧.

(مطلع شهر جمادى الأولى من عام ١٤٣٨ هـ)، وجعل نص سيبويه حتى يومنا هذا محل إشكال في بعض المواضع؛ مما يتعين معه الرجوع إلى بعض النسخ الآنفة؛ ليزول الإشكال.

ومن قرأ نص كتاب سيبويه وعارضه ببعض النسخ الآنفة؛ عرف ما أقول، وما أعني.

٣/ خطأ هرتويغ الفادح في وضع الحاشية (الطرة) التي فيها بيتي النمر بن تولب (رضي الله عنه)؛ في وصف نسخة الأسكوريال، وليس في مكانها الصحيح؛ في متن كتاب سيبويه بعد البسملة مباشرة.

ومما تقدم يعلم أن عذر الباحثين هو اعتمادهم نص كتاب سيبويه الذي اجتهد المحققون للكتاب في إثباته، وهذا الاجتهاد لم يكن مصيبا؛ لمتابعتهم المحقق الأول لكتاب سيبويه: هرتويغ درنبُرغ؛ الذي أسقط ثلاثة الأسطر التي تحوي مقدمة (خطبة) كتاب سيبويه في نسخة الأسكوريال، وإثبات صحة كونها في أصل نسخة مـ (نسخة المبرّد).

ويضاف له: عدم وقوف الباحثين على نسخة ابن خروف؛ التي حفظت أيضا مقدمة (خطبة) كتاب سيبويه، وعدم تمعُّن المعاصرين فيها، وإعادة النظر في دررها.

وآخر دعواي أن الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وآله، وصحبه، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

جريدة المصادر والمراجع

- أبنية الصرف في كتاب سيبويه: د. خديجة الحديثي، ط١، مكتبة النهضة – بغداد، ١٣٨٥ هـ – ١٩٦٥م.
- أزهار الرياض في أخبار عياض: للمقّري التلمساني، تح: مصفى السقا وآخرين، مطبعة فضالة.
- الإيضاح في علل النحو: للزجاجي، تح: د. مازن المبارك، ط٣، دار النفائس – بيروت، ١٣٩٩ هـ – ١٩٨٩م.
- البحث اللغوي عند العرب مع دراسة التأثير والتأثر: د. أحمد مختار عمر، ط٦، عالم الكتب – القاهرة، ١٩٨٨م.
- البحر المحيط = تفسير البحر المحيط: لأبي حيان، تح: عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣م.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: للسيوطي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٨٤ هـ – ١٩٦٤م.
- البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة: للفيروزآبادي، تح: محمد المصري، ط١، دار سعد الدين – دمشق، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠م.
- البيان والتبيين: للجاحظ، تح: عبد السلام محمد هارون، ط٧، مكتبة الخانجي – القاهرة، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨م.
- تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم: للتنوخي، تح: د. عبدالفتاح محمد الحلو، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م.
- تاريخ النحو: علي النجدي ناصف، دار المعارف – القاهرة، ١٩٧٨م.
- تطور الدرس النحوي: د. حسن عون، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٠م.

- التعليقة على كتاب سيبويه: للفارسي، تح: د. عوض بن حمد القوزي، ط١، مطبعة الأمانة – القاهرة، ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠م.
- جهود الزجاج في دراسة كتاب سيبويه: د. عبد المجيد بن صالح الجار الله، ط١، دار التدمرية – الرياض، ١٤٣٥ هـ – ٢٠١٤م.
- حول كتاب سيبويه: د. حنّا جميل حدّاد، مجلة مجمع اللغة الأردني، العدد المزدوج ٢٢ / ٢١.
- حول كتاب سيبويه: د. محمد علي الريح هاشم (بحث متاح على النت بصيغة PDF).
- حول كتاب سيبويه: د. هاشم الطعان، مجلة مجمع اللغة الأردني، العدد المزدوج ١٦ / ١٥ (كتب اسمه في عنوان البحث: هشام الطعان؛ وجاء على الصواب في آخره).
- الخاطريات: لابن جني، تح: علي ذو الفقار شاكر، ط١، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م.
- الخاطريات الجزء الثاني: لابن جني، تح: سعيد بن محمد القرني، رسالة ماجستير بجامعة أم القرى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦م.
- دروس في المذاهب النحوية: د. عبده الراجحي، دار النهضة العربية – بيروت، ١٩٨٠م.
- ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب: تح: د. نعمان محمد أمين طه، ط٣، دار المعارف.
- ديوان النمر بن تولب [رضي الله عنه]: جمع: د. القيسي = شعراء إسلاميون.
- ديوان النمر بن تولب [رضي الله عنه]: جمع وشرح وتحقيق: د. محمد نبيل طريفي، ط١، دار صادر– بيروت، ٢٠٠٠م.
- الرسالة: للشافعي، تح: أحمد شاكر، دار الكتب العلمية.

– رسالة الكتاب: عبد الله الجهاد، مجلة جذور، ج١، مج١ – ذو القعدة ١٤١٩هـ/ فبراير ١٩٩٩م.
– الرماني النحوي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه: د. مازن المبارك، ط٣، دار الفكر– دمشق، ١٤١٦ هـ– ١٩٩٥م.
– أبو سعيد السيرافي وكتاب سيبويه: د. إبراهيم السامرائي، مجلة كلية الآداب – جامعة بغداد، العدد ٩، نيسان ١٩٦٦م.
– سيبويه إمام النحاة: علي النجدي ناصف، عالم الكتب – القاهرة، ١٩٧٩م.
– سيبويه البصري أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر: د. مزيد إسماعيل نعيم، ط١، دار ابن كثير – دمشق – بيروت، ١٤٢٠ هـ– ١٩٩٩م.
– سيبويه جامع النحو العربي: د. فوزي مسعود، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م.
– سيبويه حياته وكتابه: د. أحمد أحمد بدوي، ط٢، مكتبة نهضة مصر بالفجالة.
– سيبويه حياته وكتابه: د. خديجة الحديثي، دار الحرية للطباعة– بغداد، ١٣٩٤هـ– ١٩٧٤م.
– سيبويه النحوي حياته – كتابه – مصادر ترجمته ومراجعها: هيثم الشيخ عبدو، ط١، الأوائل للنشر – دمشق، ٢٠٠٠م.
– شرح الرماني تح: د. الدميري = الرماني في تناوله لمشكلات كتاب سيبويه من خلال شرحه وآرائه في ذلك؛ مع تحقيق المجلد الثاني وبعض الثالث إلى آخر موضوع النداء من الشرح: د. المتولي رمضان الدميري، رسالة دكتوراه بجامعة الأزهر، ١٤٠٢ هـ– ١٩٨٢م.
– شرح الرماني تح: د. شيبة = شرح كتاب سيبويه للرماني المجلد الأول، تح: د.

محمد إبراهيم شيبة، رسالة دكتوراه بجامعة أم القرى، ١٤١٤ / ١٤١٥ هـ.

– شرح السيرافي = شرح كتاب سيبويه: لأبي سعيد السيرافي، تح: د. رمضان عبد التواب وآخرين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م.

– شرح الصفار = السفر الأول من شرح كتاب سيبويه: للصفار، تح: د. معيض بن مساعد العوفي، ط١، دار المآثر – المدينة النبوية، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨م.

– شرح عيون كتاب سيبويه: للمجريطي القرطبي، تح: د. عبد ربه عبد اللطيف عبد ربه، ط١، مطبعة حسان – القاهرة، ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤م.

– شعراء إسلاميون: د.نوري حمودي القيسي، ط٢، عالم الكتب – مكتبة النهضة العربية، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٤م.

– شواهد الشعر في كتاب سيبويه: د. خالد عبد الكريم جمعة، ط٢، الدار الشرقية، ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٩م.

– فهارس كتاب سيبويه ودراسة له: محمد عبد الخالق عضيمة، ط١، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م.

– الفهرست: للنديم، قابله على أصوله وعلق عليه وقدم له: د. أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان – لندن، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م.

– الكتاب: لسيبويه، تح: عبد السلام محمد هارون، ط٣، مكتبة الخانجي – القاهرة، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م.

– الكتاب: لسيبويه، تح: أ. د. محمد كاظم البكّاء، ط١، منشورات زين الحقوقية – بيروت، ١٤٣٥ هـ – ٢٠١٥م.

– الكتاب: تح: هرتويغ درنبُرغ، المطبع العامي – باريس، ١٨٨١م.

– الكتاب: طبع بولاق، ١٣١٦ هـ.

– الكتاب: نسخة باريس ٥٢٨٠.

– الكتاب: نسخة جوروم باشا (الجزء الأول) ٢٥٦٢.
– الكتاب: نسخة ابن خروف، باريس ٦٤٩٩.
– الكتاب: نسخة راغب باشا ١٣٧٥، و١٣٧٦.
– الكتاب: نسخة الزاوية الحمزاوية (الحمزية).
– الكتاب: نسخة عارف حكمة الله ٤١٥/١٦٨.
– الكتاب: نسخة نور عثمانية ٦٤٢٦، و٦٤٢٧، و٦٤٢٨.
– الكتاب: النسخة A (نسخة باريس ١١٥٥).
– الكتاب: النسخة L (نسخة الأسكوريال).
–كتاب سيبويه: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٥٥م.
–كتاب سيبويه وشروحه: د. خديجة الحديثي [مصورة].
– كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: حاجي خليفة، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
– المختار من شرحي ابن خروف والصفار لكتاب سيبويه: محمد خليفة الدنّاع، ط١، دار النهضة العربية – بيروت، ١٩٩٦م.
– مخطوطات كتاب سيبويه: د. صلاح الدين المنجد، مطبوع ضمن ١٦ مقالة عن سيبويه، شيراز.
– المدارس النحوية: د. خديجة الحديثي، ط٣، دار الأمل – إربد، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١م.
– المدارس النحوية: د. شوقي ضيف، ط٧، دار المعارف.
– المدخل إلى كتاب سيبويه وشروحه: د. محمد عبد المطلب البكّاء، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد، ٢٠٠١م.
– مدرسة البصرة النحوية نشأتها وتطورها: د. عبد الرحمن السيد، ط١، مطابع سجل العرب، ١٣٨٨ هـ – ١٩٦٨م.

- معجم الأدباء إرشاد الأديب إلى معرفة الأريب: لياقوت الحموي، تح: د. إحسان عباس، ط١، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ١٩٩٣م.
- المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية: د. إميل بديع يعقوب، ط١، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦م.
- المقتضب: للمبرد، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب - بيروت.
- مقدمة كتاب سيبويه: د. محمد كاظم البكّاء، مجلة المورد العراقية، المجلد ١٩، العدد١.
- ملاحظات حول رسالة سيبويه في الكتاب مشروع قراءة في النظريات النحوية العربية: المنصف عاشور، مجلة حوليات الجامعة التونسية، العدد٣٠، ١٩٨٩م.
- من أثر الكتاب في اختلاف أولي الألباب - دراسة للمسائل النحوية والصرفية التي اختلف العلماء في حكاية مذهب سيبويه فيها: د. محمد حسين عبدالعزيز المحرصاوي، ط١، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م.
- من أعلام البصرة سيبويه - هوامش وملاحظات حول سيرته وكتابه: د. صاحب جعفر أبو جناح، دار الحرية للطباعة - بغداد، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤م.
- منهج كتاب سيبويه في التقويم النحوي: د. محمد كاظم البكّاء، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد، ١٩٨٩م.
- النكت في تفسير كتاب سيبويه: للأعلم الشنتمري، تح: زهير عبد المحسن سلطان، ط١، معهد المخطوطات العربية - الكويت، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م.